مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الحب بين لوك فيري وإيفا إيلوز

نجيب ادريويش
باحث مغربي

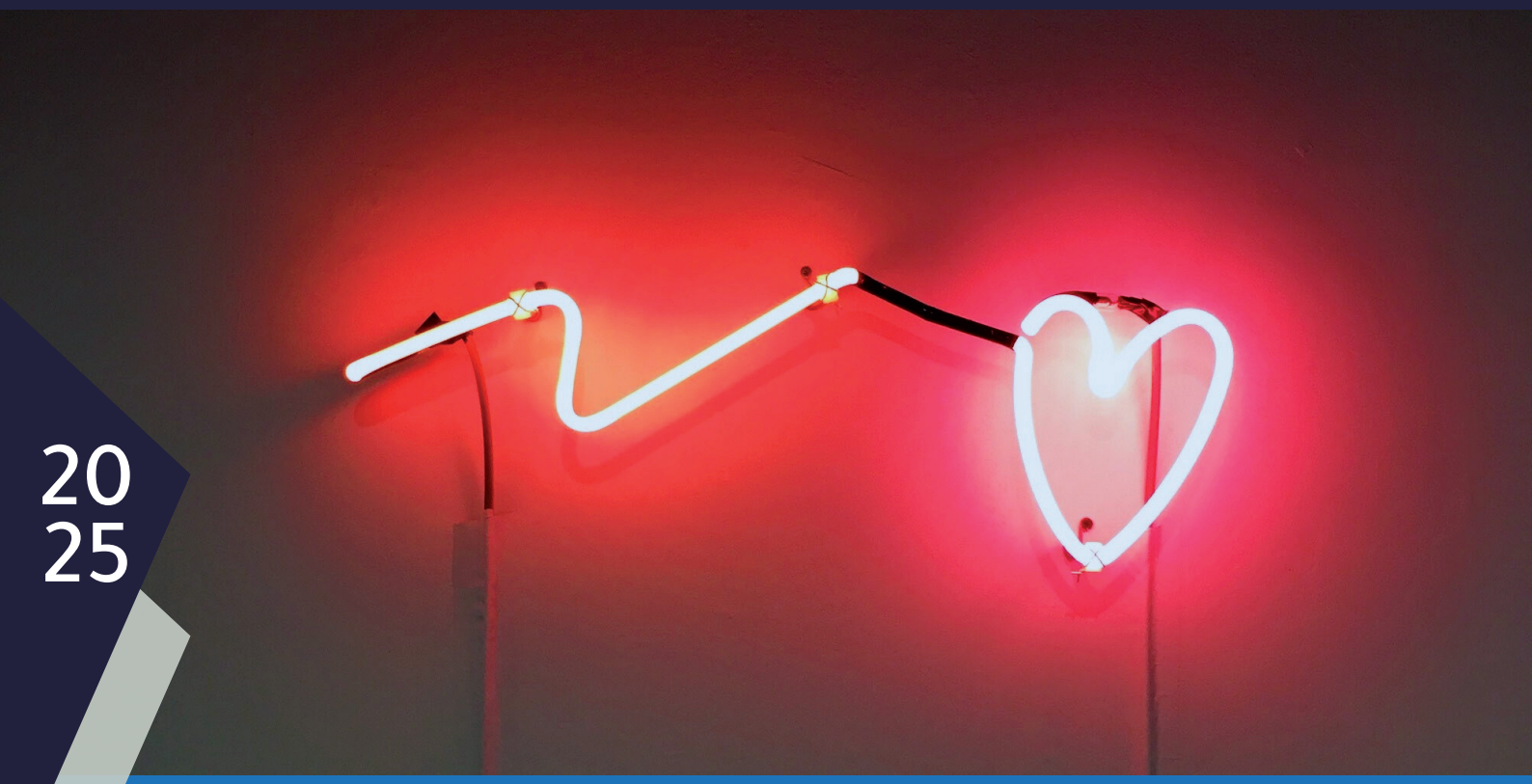

2025

- **بحث محكم**
- **قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة**
- 2025-02-06

جميع الحقوق محفوظة © 2025

الحب بين لوك فيري وإيفا إيلوز

ملخص

تُعَد إشكالية الخلاص محورًا رئيسا في الفلسفة، حيث تسعى لإيجاد معنى وهدف للحياة في سياق يفتقر إلى الأسس الدينية التقليدية. تاريخ الفلسفة شهد تطورات متعددة في تفسير هذه الإشكالية، بدءًا من مفهوم الكُسموس في الفلسفة اليونانية القديمة، مرورًا بفكرة الإله في الديانات التوحيدية، وصولًا إلى تأكيد الذات العقلانية في عصر التنوير. في العصر المعاصر، يُعدّ الحب بمثابة حل محتمل لإشكالية الخلاص؛ إذ يُقدَّم كنوع من الروحانية العلمانية التي تمنح الحياة معنى من خلال العلاقات الإنسانية بدلًا من الأسس الدينية.

على الرغم من إمكانيات الحب في توفير إجابة عن إشكالية الخلاص، فإن هذا الحب المخلص قد يُسبب المعاناة والألم، حيث يمكن أن تؤدي العلاقات العاطفية إلى الإحباط والصراعات. كذلك، قد لا تكون القيم الروحية التي يوفرها الحب كافية لمواجهة جميع الأزمات الوجودية. لهذا، لا يمكن تجاهل تأثير التحولات الاجتماعية على العلاقات العاطفية في العصر الحديث. وكذا تأثير التغيرات الاقتصادية والثقافية على مفهوم الحب واستقراره العاطفي، مما يؤدي إلى ظهور نماذج جديدة للعلاقات في سياق علماني.

يعدّ الحُب عند لوك فيري حلًا لإشكالية الخلاص التي عرفتها الفلسفة منذ البداية، بل إن تاريخ الفلسفة ما هو إلا إجابة عن إشكالية الخلاص. صحيح أن الإجابات اختلفت عبر تاريخ الفلسفة، من الكُسموس اليوناني إلى الإله في الديانات التوحيدية والعصور الوسطى، مرورًا بالإنسان المُشرِّع والذات المستقلة بذاتها في عصر التنوير، وصولًا إلى المرحلة المعاصرة التي تتطلب حسب فيري الخروج من الكانتية والنتشوية معًا، من أجل التأسيس لقيم علمانية يُسميها روحانية علمانية (une spiritualité laïque). هذه القيم ليست قيمًا عمودية أو ميتافيزيقية بقدر ما هي قيم أرضية أفقية، لكنها أكثر إنسانية، كما أنها لا تستمد تبريرها من الإكراه الاجتماعي أو الاقتصادي، بل هي قيم روحانية خالصة وفي نفس الوقت قيم غير دينية، وهو ما يمكن تسميته بالقيم الروحية الأرضية التي تتجلى في الزواج عن حب (le mariage d'amour) الذي لم يظهر إلا في المرحلة المعاصرة.

فما المقصود بإشكالية الخلاص عند لوك فيري، وكيف يمكن اعتبار الحب حلًّا لإشكالية الخلاص في الوقت الذي لا يزال يشكل الحب مصدرًا للكثير من المعاناة والألم؟

علمنة القيم ومسألة الخلاص

يميز لوك فيري في كتاب **أجمل قصة في تاريخ الفلسفة**[1]، بين الأخلاق والقيم الروحية-الوجودية؛ فالأخلاق في كل الرُؤى الأخلاقية للعالم، سواء مع الرواقية أو مع البوذية أو حتى مع الرُؤية المسيحية والجمهورية، نجد دائما مقتضيين أساسيين، الاحترام والسخاء؛ فالمرء يتخذ سلوكا أخلاقيا تُجاه الآخرين حين يحترمهم، وحين يضيف إلى احترام الآخرين، اللطف والإحسان.

لكن هذه التوجهات الأخلاقية الكبرى، لا تهم لوك فيري بالأساس بقدر ما تهمه القيم الروحية-الوجودية، لكن ليس بالمعنى الديني لكلمة روحي، بل هي أقرب إلى المعنى الهيغلي للكلمة.[2] يرى لوك فيري، أن القيم الرُوحية الوجودية هدفها تحقيق الحياة الطيبة للإنسان المتناهي، هذا الإنسان الذي يعيش بين الرغبة في الخلود لتحقيق السعادة وحتمية التناهي التي تحكم مصيره. إن القيم التي يقترحها فيري هي الكفيلة لوحدها بتحقيق الحياة الجيدة للإنسان المتناهي.

إن هذا التناقض بين طبيعة الإنسان المتناهية ورغبته في الخلود هو ما يُسميه فيري مسألة الخلاص (le salut)؛ أي كيف يمكن للإنسان المتناهي أن يحقق اللامتناهي، وكيف يمكن إنقاذ الحياة من الموت دون اللجوء إلى الإجابة التقليدية للأديان؟ إن دور الفلسفة منذ اليونان هو الإجابة عن سؤال الخلاص إجابة فلسفية. صحيح أن الفلسفة تُشاطر الدين الغاية الرامية إلى تحديد شروط الحياة الطيبة، لكنها تسعى إلى بلوغ تلك الغاية من خلال استقلالية العقل وبالوسائل المتاحة لها.[3] فكل الفلسفات الكبرى بلا استثناء تُجيب عن السؤال: كيف يمكن أن نحيا ونحن نعلم أننا سنموت؟ بينما تخلصت الأديان من قلق الموت والتناهي الإنساني بفكرة الخلود والأبدية في العالم الآخر، فإن ما يجمع بين الأديان المتناقضة أحيانًا هو فكرة الخلود، بل إن الأديان في الحقيقة جاءت وما زلت قائمة بسب فكرة الموت التي تحيا معنا منذ البداية. على العكس من ذلك، نجد اليونان قدموا فكرة الكُوسموس اللامتناهي وما على الإنسان المُتناهي، إلا أن يجد موقعه داخل هذا الكُسموس. وقد ظهر هذا الجواب قبل ذلك في الأسطورة اليونانية، وبعد ذلك تمت عَلمنته مع أفلاطون وأرسطو؛ وذلك بتخليصه من الآلهة وتقديمه في خطاب عقلاني مُدعم بالحجج. هكذا ستصبح الحياة الطيبة هي تحقيق التناغم مع العالم. بعد ذلك، ستأتي المرحلة الإنسية التي ستعمل على أنسنة فكرة الخلاص المسيحية، وأنسنة الأجوبة عن سؤال معنى الحياة.[4] سُيحرر ديكارت البشرية من ضرورة البحث عن معنى الحياة خارج الحياة، سواء في النظام الكوني أو في روعة الإله؛ فالإنسان في المرحلة الحديثة أصبح هو الذي يُحدد معنى الحياة، لتصبح فكرة التقدم بمثابة علمنة لمفهوم الخلاص المسيحي وتجلّيًا من تجليات الخلود. بعد ذلك، ستدخل الأزمنة الحديثة

1 Claude Capelier et Luc Ferry, *La Plus belle histoire de la philosophie* (Paris: POINTS, 2015).

2 Ibid.,p. 14-15

3 Ibid.,p. 17-18

4 Ibid., p. 45

إلى مرحلة التفكيك والعدمية، وسيُطرح من جديد سؤال «ما الجدوى وما معنى الحياة؟»، وستهدم المطرقة النيتشوية كل القيم والأنساق الكبرى للحداثة. لذلك، سيدعو فيري إلى ما بعد الكانتية وما بعد النيتشوية من أجل إنسانية جديدة. في هذه الإنسانية الجديدة، سيصبح الحب مبدأً جديدًا لمعنى الحياة.

الحب كإجابة فلسفية لمسألة الخلاص

سبق للمسيحية أن طرحت بوضوح مسألة الخلاص، حيث يُعدّ يسوع المسيح المخلص للناس والضامن للحياة الأبدية. فالحياة السعيدة والخالدة تتحقق بحب الإله- المسيح، سيقوم لوك فيري بعَلمنة هذا التصور، ليعلن أن زواج الحب في المرحلة المعاصرة هو حدث تاريخي لم يسبق له مثيل وهو مرتبط بالتحولات القيمية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الحديث.[5] سيربط لوك فيري بين الحياة الخاصة وظهور زواج الحب، الذي هو اختيار حر وطوعي بين شخصين لا تجمعهم المصلحة. هذه الفكرة، التي أصبحت مألوفة -على الأقل - في المجتمع الفرنسي، تشكل حدثًا جوهريًا وتحوّلًا قيميًا مهمًّا بالنسبة إلى فيري. عبر التاريخ، كان زواج المصلحة الاقتصادية هو السائد، وكانت القبيلة غالبًا هي التي تُنظِّمه، حيث لم تكن الغاية منه الحب، بل الإنجاب. في المقابل نجد في زواج الحب، ممارسة الحب غاية بذاتها، فهو الخير الأسمى وغاية الغايات ولا يمكن أن يكون وسيلة لتحقيق مصلحة اقتصادية أو دينية أو حتى اجتماعية[6]، لقد تخلص زواج الحب من كل الدوافع والغايات، ليصبح خيرا لذاته وليس وسيلة لغاية أخرى، ليأخذ الحب مكان الروابط التقليدية ويعطى معنى للحياة.

إن زواج الحب عند لوك فيري لا يعني الزواج المسيحي. صحيح أنه يمكن أن نجد داخل الزواج المسيحي حبٌّ بين طرفين بشكل اختياري وواعٍ، لكن الطرفين يظلان بحاجة إلى طرف ثالث يجمع بينهما، وهو الإله. لذلك، يظل الزواج المسيحي بحاجة إلى بركة الرب. على العكس من ذلك، زواج الحب لم يعد بحاجة إلى طرف ثالث يجمع بين العاشقين، فالحب وحده هو ما يجمعهما، وليس الإله.

هذا الحب الذي لا مُسبب له ولا غاية له، بل هو السبب والنتيجة في آنٍ واحد، هو حبٌّ صوفي نجده في العديد من الديانات، وسيتم علمنته وأنسنته في زواج الحب. فالحبيب يُحب الحبيبة لذاتها ولأنها «هي هي»، والحبيبة تحب الحبيب؛ لأنه «هو هو»، فلا يوجد سبب واضح لوجوده، وبالتالي لا يوجد سبب أو إكراه لبقائه. لهذا السبب، فإن ظاهرة زواج الحب ستُكرِّس لأول مرة الطلاق والفراق بين الزوجين بشكل إيجابي.[7]

إذا كان زواج الحب ليس له سبب غير الحب نفسه، فإن نهاية الحب لا تحتاج إلى سبب. لكن الفراق أو الطلاق لم يعد له معنى قدحي أو حمولة دينية سيئة، فمن المعروف أن المسيحية تعتبر أن «ما جمعه الرب لا

5 Luc ferry, *la révolution de l'amour pour une spiritualité laïque*, (paris: plon.2010)

6 Ibid.,p. 99-113

7 Ibid., p. 121

يفرقه العبد». لكن مع زواج الحب، أصبح الفراق أمرًا عاديًا ومقبولًا؛ لأن الزواج لم يعد حلًا لمشكلة اقتصادية أو استجابة لحاجة اجتماعية أو دينية، بل هو اختيار واعٍ وحر، دون إكراه خارجي.

مفارقة الزواج المبني على الحب أنه يبدو حاملًا داخله منذ البداية بشكل جوهري أسباب فساده. فإذا كانت العاطفة وحدها تجمع بين الكائنات، فيمكنها أيضًا أن تفرقهم. وكلما تحرر الزواج من دوافعه التقليدية الاقتصادية أو العائلية، وأصبح قضية اختيار فردي، اصطدم بمسألة استنزاف الرغبة؛ لأن حالة العشق قد لا تدوم إلا لفترة قصيرة، مما يؤدي بكل زواج - الحب إلى النهاية والسقوط.[8]

لهذا، يرى لوك فيري أن من نتائج ثورة الحب هو تقنين الطلاق، هذا الأخير لم يُعد له قيمة سلبية، بل إيجابية، كما أنه هو الدليل الوحيد على الحب؛ فالمساحة الكبرى الموجودة للطلاق والفراق في زواج الحب، هي التي تجعلنا نعرف «الحب الحقيقي» الخالي من أي مصلحة، هذه الإمكانية المُتوقعة دائما للنهاية، هي غير موجودة تماما في الزواج الكاثوليكي، ونادرة في الزواج التقليدي، سواء لأسباب اقتصادية أو دينية أو اجتماعية. لهذا يُقرّ فيري أن 60% في المائة من زواج الحب ينتهي بالفشل والطلاق، لكن هذا لا يعني أن القيم العائلية تحتضر بل لأنها قائمة على الحب.[9]

يصل لوك فيري إلى أنه لولا الأطفال، لأصبح الأصل في زواج الحب هو النهاية. حب الأطفال أو الأبناء هو النتيجة الطبيعية للحب، وهذا ليس بديهيًا كما قد نعتقد حسب فيري. ففي العصر الوسيط، لم يكن موت الأطفال يشكل كارثة إنسانية، وكان الأمر مقبولًا إلى حد ما. ولم يكن العزوف تجاه حب الأطفال؛ لأنهم كانوا يموتون في وقت مبكر، بل كانوا يموتون في وقت مبكر لأنهم، وإلى حد ما، لم يكونوا يحظون بقدر كبير من الحب. على العكس من ذلك ونتيجة لزواج الحب، أصبح موت الأطفال هو أشنع شيء يُمكن أن يحصل للأسرة.[10]

حتى الآن، يظل لوك فيري يعمل على تحليل الحب كعلاقة حميمية داخل الحياة الخاصة للأسرة. ولكن كيف يمكن أن ننتقل من زواج الحب غير المبني على المصلحة إلى ثورة يُحدثها الحب في المجتمع على جميع المستويات، وخصوصًا على مستوى الممارسات الاجتماعية والأنظمة القيمية؟ وكيف يمكن أن يصبح تقديس الحياة الخاصة الحميمية مبدأً مؤسسًا للحياة العامة والقيم المشتركة؟

إن الإحساس بالحب الذي تعرفه الأسرة الحديثة، والذي تطور بشكل ملحوظ تحت تأثير زواج الحب، سيؤدي إلى تصاعد مشاعر التعاطف مع الآخرين. لهذا، يربط لوك فيري بين نشأة زواج الحب في الأسرة الحديثة وبين نشأة العمل الخيري التطوعي من أجل الإنسانية، دون أي مصلحة أو مقابل. كما أصبح من الضروري تجاوز المبدأ الكانطي «افعل كما لو كان فعلك سيصبح قانونًا عامًا للجميع» إلى المبدأ التالي: «افعل حيث يمكن لقاعدة

8 Ibid.,p. 119-124

9 Capelier et Ferry, *La Plus belle histoire de la philosophie*, p. 411

10 Ibid., p. 412- 413

فعلك أن تُطبق على من هم الأحب إليك». إن الاقتناع التام بضرورة ترك عالم أفضل لأبنائنا وللإنسانية هو ما يجعلنا نفهم الاهتمام المتزايد بالبيئة وبمصير الإنسانية، التي لا تنفصل عن مصير أبنائنا. كل هذه التحولات الاجتماعية والسياسية لم يكن من الممكن أن تحدث دون زواج الحب، الذي أدى إلى تقديس الغير، بعدما كان في العصر الوسيط تقديس الإله، وفي العصر الحديث تقديس الذات. إن قداسة الغير يُمكنها لوحدها أن تُحدث ثورة على المستوى السياسي والاجتماعي، بل إنها الإجابة الوحيدة الممكنة حاليا لسؤال الخلاص.

تناول الحب كإشكالية فلسفية كان حاضرًا في أغلب الكُتب الفلسفية التي أصدرها لوك فيري، ليصبح الحب حلا لإشكالية فلسفية عميقة، تتلخص في مسألة الخلاص، متجاوزا بذلك الكوسموس اليوناني والإله في الديانات التوحيدية، والنزعة الإنسية الحديثة، وكذا النزعة التفكيكية التي دمرت كل معنى للحياة، نحو إنسانية ثانية يشكل الحب جوهرها وأساسها وغايتها، فزواج الحب يجمع الترسندنتالي والمحايث، بنقلنا من تقديس الإله مع المسيحية وتقديس الذات مع الحداثة إلى تقديس الغير.

لهذا، خصص لوك فيري كتابا كاملا حول إشكالية زواج الحب ومسألة الخلاص، تحت عنوان: **ثورة الحب من أجل قيم علمانية**، وسيعتبر فيه أن ثورة الحب هي التي أدت إلى طرح مفهوم الطلاق والفراق بين الزوجين بشكل إيجابي، وكذلك نشأة «الحميمية» بين الزوجين التي كانت غائبة فيما قبل، كما ظهر حب الأطفال الذين هم نتاج هذه العلاقة الحميمة. هذا الحب الإنساني المُعلمن سيتحول في الأخير إلى تقديس للغير وللإنسانية، مما سيفتح الباب للعمل الخيري التطوعي بدون مصلحة ذاتية أو اجتماعية أو حتى دينية.

إيفا إيلوز ليس بالحب وحده يحيا الإنسان

إذا كان الحب في زمن الحداثة قد أصبح يشكل قيمة روحانية لائكية ذات بُعد أفقي، فلماذا لا يزال الحب في زمن الحداثة يُشكل لنا الألم والمعاناة؟ صحيح أن المعاناة قد رافقت فكرة الحب الرومانسي منذ البداية، إلا أن إيفا إيلوز[11]* (Eva Illouz) تنتبه أن شكل المعاناة تغير في زمن الحداثة، كما أن الفهم السوسيولوجي للعلاقات الاجتماعية العادية بين الناس، وما يشكله من فشل وإحباط وألم، لا ينفصل عن الحداثة وما كرسته من قيم الاستقلالية، الفردانية، والمجتمع الاستهلاكي.

تعمل إيفا إيلوز على تحليل الحب انطلاقًا من السوسيولوجيا، محاولةً تجاوز هيمنة باراديغم التحليل النفسي في تفسير العواطف والإخفاقات في تجارب الحب. ترى إيلوز أن الفشل في التجارب العاطفية لا يمكن

11 إيفا إيلوز، يهودية وُلدت في مدينة فاس، المغرب، سنة 1961، ونشأت في فرنسا. تركز إيلوز في أبحاثها على كيفية تأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية على المشاعر والعلاقات العاطفية. تُعَدُّ من أبرز المفكرين الذين تناولوا تأثير الثقافة الاستهلاكية والتكنولوجيا على الحب والعلاقات الإنسانية. من أهم أعمالها:

Les Sentiments du capitalism, Le Seuil, 2006

Pourquoi l'amour fait mal: L'expérience amoureuse dans la modernité (trad. de l'allemand), Paris, Le Seuil, *2012*

La Fin de l'amour: Enquête sur un désarroi contemporain, Le Seuil, 2020

* *Les Émotions contre la démocratie*, Premier Parallèle, 2022.

تفسيره فقط بالعودة إلى الطفولة أو التجارب الفردية الخاصة بكل شخص. بدلاً من ذلك، تشير إلى وجود عَوامل مؤسسية وبُنى وعلاقات مادية أصبحت تسيطر على اختياراتنا، مما يزيد من شعورنا بالفشل ويعزز قلقنا بشأن تعدد الخيارات، ويؤدي إلى حالة من الشك وعدم اليقين في علاقاتنا العاطفية.

تقدم إيفا إلوز نقدًا ضمنيا للحداثة من خلال التركيز على كيف أصبح مفهوم الحب متمحورًا حول الذاتية والفردانية في المجتمعات المعاصرة، ليتحول الحب من كونه تجربة جماعية تستند إلى القيم المشتركة بين الشريكين، إلى تجربة شخصية تعتمد على إشباع الاحتياجات الفردية. معضلة الحب في الزمن المعاصر تعد جزءًا من أزمة الحداثة التي تقوم على فكرة استقلالية كل فرد وتفرُده مما يمنحه إحساسًا بالأصالة والكرامة، في حين تظل فكرة الحب مثقلة باستهامات التبعية والخضوع، وملزمة بالاعتراف المتبادل، حيث يسعى كل طرف إلى تأكيد ذاته من خلال العلاقة، مما يجعلها عرضة للتوترات، إذا لم يتم إشباع هذه الاحتياجات بالشكل المطلوب.[12]

تشير إيلوز إلى أن العاطفة في المجتمع الاستهلاكي الحديث يتم تمثيلها بشكل مستمر من خلال الأفعال والمبادرات، مما يعكس تأثير النزعة الاستهلاكية على الحب، حيث تُعامل العلاقة وكأنها منتج يجب تجديده باستمرار للحفاظ على قيمته. هذا التمثيل المستمر قد يفرغ الحب من معناه العميق، حيث يصبح الأداء العاطفي هو الأهم، وليس المشاعر الصادقة.

تقدم إيلوز نقدًا اجتماعيًا وثقافيًا للكيفية التي أُعيد فيها تشكيل الحب، ليصبح متناسبًا مع القيم الفردية في المجتمعات الحديثة. من خلال هذا التحليل، تُظهر إيلوز أن هذه القيم قد تؤدي إلى علاقات غير مستقرة وهشة، حيث يصبح الأفراد معتمدين على الآخرين لتأكيد ذواتهم، بدلًا من بناء علاقات قائمة على القيم المشتركة والاحترام المتبادل.

لا تخشى عالمة الاجتماع إيفا إيلوز من استخدام عناوين صادمة. فبعد كتابها **لماذا الحب مؤلم؟** الذي نُشر سنة 2012، والذي قامت فيه بتحليل الأبعاد الاجتماعية للألم العاطفي، قدمت في سنة 2020، عنوان كتابها **نهاية الحب**[13]، حيث تُبين إيلوز كيف أن التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية قد أثرت بشكل كبير على الديناميات العاطفية والعلاقات الحميمة في المجتمعات الحديثة. تقدم إيلوز تحليلًا عميقًا للتغيرات التي طرأت على مفهوم الحب وكيف أصبح متأثرًا بقوى السوق والتقنيات الرقمية والإيديولوجيات النيوليبرالية.

توضح إيلوز أن الحب في العصر الحديث يتسم بعدم اليقين والاضطراب؛ إذ يتعين على الأفراد اليوم التنقل بين توقعات متناقضة وواقع معقد، مما يجعل الحب تجربة أقل استقرارًا وأكثر تعقيدًا من أي وقت

12 Eva Illouz, *Pourquoi l'amour fait mal. L'expérience amoureuse dans la modernité*, traduit de l'anglais par Joly Frédéric. (Paris: Le Seuil, 2012), p. 9-35

13 إيفا إيلوز، **نهاية الحب سوسيولجيا العلاقات السلبية**، ترجمة جلال العاطي ربي، (السعودية: صفحة سبعة للنشر والتوزيع، 2022).

La Fin de l'amour: Enquête sur un désarroi contemporain, Paris: Le Seuil, 2020

مضى. هذا التحليل يقدم نظرة نقدية إلى كيفية أن القوى الاقتصادية والتكنولوجية قد أعادت تشكيل مفهوم الحب والعلاقات، مما يعكس تحولات أوسع في المجتمع المعاصر.

وتفحص إيلوز من خلال هذا الكتاب الطريقة الجديدة التي تتفكك بها الروابط الاجتماعية، معتبرةً إياها مجالًا مميزًا لفهم كيفية ظهور شكل جديد من العلاقات السلبية (اللا)اجتماعية؛ وذلك عبر تقاطع الرأسمالية والجنس والتكنولوجيا، كما تشرح كيف أن التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية قد أثرت بشكل كبير على الديناميات العاطفية والعلاقات الحميمة في المجتمعات الحديثة. وتقدم تحليلًا عميقًا للتغيرات التي طرأت على مفهوم الحب، وكيف أصبح هذا الأخير متأثرًا بقوى السوق والتقنيات الرقمية والإيديولوجيات النيوليبرالية.

وتستند إيلوز في تحليلاتها إلى بعض الممارسات الحميمية المعاصرة مثل الجنس العابر، والمواعدة عبر تطبيقات مثل تِندر (Tinder)، وظاهرة «الاختفاء المفاجئ» (ghosting)؛ أي اختفاء شخص فجأة من حياة شخص آخر بعد التعارف[14]، وتربطها بأشكال «العلاقات الاجتماعية السلبية»؛ أي العلاقات التي تخلو من المحتوى المعياري والتي يمكن الخروج منها بسهولة.[15] لتدعم أطروحتها التي طرحتها في كتابها **مشاعر الرأسمالية**[16]، حيث يغزو المنطق الاقتصادي والثقافة الاستهلاكية والتكنولوجيا العلاقات الحميمية والجنس والأسرة.

شهد هذا النوع من الحداثة تطورًا غير مسبوق منذ الستينيات، واتخذ بعدًا جديدًا مع ظهور الإنترنت والتطبيقات الجنسية والعاطفية التي تجرّد الأفراد من السيناريوهات الاجتماعية المستقرة والمتوقعة للالتزام في علاقة ما. وتم استبدال المنطق التعاقدي بـعدم يقين عام مزمن، يحكم تكوين العلاقات الجنسية والعاطفية.[17]

تُحلل إيلوز بنية المغازلة الاجتماعية في القرن التاسع عشر، مستعرضة الطقوس التي كانت تحيط بالعلاقات الحميمية، وكيف كانت هذه البنية الاجتماعية تنتج اليقين. استمرت هذه الطقوس حتى الستينيات، حيث كانت تنظم المشاعر من خلال معايير وقواعد مشتركة. ابتداءً من السبعينيات، شهدت طقوس المغازلة تحولات كبيرة بفضل حركة تحرير المرأة وصعود الحرية الجنسية، لكن هذه الحرية تم استغلالها من قبل المجال الاقتصادي – كما يتضح من صناعات الصور ومستحضرات التجميل والمواد الإباحية – حيث أصبحت الحرية الجنسية مرتبطة بحرية الاستهلاك.[18]

---

14 إيلوز، **نهاية الحب سوسيولجيا العلاقات السلبية**، ص. 132-111

15 المرجع نفسه، ص. 292-277

16 *Les Sentiments du capitalisme*, (paris: Le Seuil, 2006).

17 Laure Sizaire, « Eva Illouz, La fin de l'amour. Enquête sur un désarroi contemporain », Lectures [En ligne], Les comptes rendus, mis en ligne le 24 novembre 2020, consulté le 29 août 2024. URL: http://journals.openedition.org/lectures/45577; DOI: https://doi.org/10.4000/lectures.45577

18 Ibid.

وكشفت إيلوز نوعًا من الجنس الذي يجسد الأيديولوجية الرأسمالية، وهو الجنس العابر. في هذا النوع من التفاعل الجنسي، يُعامل الأفراد كسلع متكافئة، وتُحصر قيمتهم في اللذة التي تصبح عملة للتبادل. ومع ذلك، تشير إلى الطابع غير المتكافئ لهذه العلاقات، حيث تعني كثرة العلاقات الجنسية للرجال القوة والسلطة، بينما تصبح ممارسة هذه الحرية بالنسبة إلى النساء أكثر إشكالية، نظرًا لارتباطها بتطور رأسمالية استعراضية تحول جنسانية النساء إلى مصدر للقيمة المضافة.

لهذا، تقوم إيلوز بإعادة تقييم نظرية «التبادل الاقتصادي-الجنسي» في سياق المجتمعات الغربية التي تشهد تداخلًا بين النيوليبرالية والنسوية، بينما قد تتمكن بعض النساء من الهروب جزئيًا من تحويل جنسانيتهن إلى خدمة ضمن الزواج أو الدعارة، فإنهن يواجهن في المقابل استلاب قيمة أجسادهن الجنسية من قبل النظام الرأسمالي، الذي يظل تحت سيطرة الرجال بشكل كبير. وتبرز الكاتبة كيفية إعادة تشكيل السلطة الأبوية بالتوازي مع التحرر الاقتصادي للنساء، حيث يتم تعريف النساء وتقييمهن بناءً على أجسادهن الجنسية.[19]

وتناولت إيلوز موضوع الطلاق بوصفه «علاقة سلبية» تتجلى من خلال ديناميات اجتماعية وعاطفية معقدة. وتبرز كيف أن النساء يلعبن دوراً رئيساً في إعادة تعريف وظيفة الزواج من كونه علاقة اقتصادية إلى علاقة عاطفية. هذا التحول يعكس كيف أن الزواج لم يعد مُجرد مؤسسة اقتصادية أو اجتماعية، بل أصبح أساسًا للارتباط العاطفي.

ومن ثمة، قدمت إيلوز صورة متشائمة بعض الشيء حول هذه الديناميات، موضحة أن الأفراد في العلاقات الحديثة يميلون إلى تقييم المخاطر بشكل مفرط، مما يعقد عملية بناء الروابط الحقيقية. ومع ذلك، تُلفت الانتباه إلى ظهور معايير جديدة قد استبدلت النظام التقليدي للمغازلة، مما يعكس تحولًا في كيفية فهم وبناء العلاقات بين الرجال والنساء.

تصل إيلوز إلى أن النساء، بالرغم من أنهن يواجهن عدم يقين عاطفي أكبر نتيجة لبدايات العلاقات غير المستقرة، فإنهن غالبًا ما يواصلن متمسكات باليقين العاطفي الذي يجعلهن يقررن الطلاق، عندما تصبح العلاقة غير مرضية. هذا اليقين العاطفي، المدعوم بما تُسميه «الأنطولوجيا العاطفية»؛ يعني أن النساء يمكنهن تحليل مشاعرهن ومشاعر الآخرين بطريقة أكثر تعقيدًا، مما يمكّنهن من وضع معايير عاطفية تتجاوز التجربة الشخصية.[20] هذا التطور في فهم النساء لمشاعرهن يساهم في تشكيل مطالب وكفاءات جديدة تؤثر بشكل عميق على العلاقات الحميمة. الطلاق، في هذا السياق، يظهر كآلية يمكن أن تُساعد الأفراد في تجنب الاستمرار في علاقات غير متوافقة أو غير مرضية، ويعكس في الوقت نفسه تحولًا في كيفية تقييم واستجابة الأفراد للعلاقات العاطفية.

---

19 France Culture, « Eva Illouz: «La Fin de l'amour» », YouTube, 9 février 2020, vidéo, https://www.youtube.com/watch?v=DoKXqHwo5Lg.

20 إيفا إيلوز، **نهاية الحب سوسيولجيا العلاقات السلبية**، ص. 349

تُركّز إيلوز على كيف أصبح الحب في العصر الحديث متمحورًا حول الذات الفردية، مما يؤدي إلى علاقات هشة تعتمد على التأكيدات المستمرة من الشريك. لقد أصبح الحب أشبه بمنتج يحتاج إلى إعادة تجديد باستمرار ليظل ذا قيمة. في المقابل، يتبنى لوك فيري نظرة أكثر تفاؤلًا تُجاه الحب، حيث يرى أن الحب قد أصبح المحور الجديد للقيم الإنسانية، متجاوزًا الدين كأساس للمعنى في الحياة.

يؤكد فيري أن الحب يُعدّ من أبرز القيم الحديثة؛ إذ يعتمد على الحرية والاعتراف المتبادل بين الأفراد، بينما تنتقد إيلوز النزعة الفردية في الحب الحديث، حيث إن تركيز الأفراد على إشباع احتياجاتهم الذاتية، يمكن أن يؤدي إلى تفكك العلاقات. الحب هنا يُعامل كوسيلة لتحقيق الذات بدلًا من أن يكون وسيلة للتواصل العميق مع الآخر. في حين يعترف فيري بأهمية الفردانية، إلا أنه ينظر إليها من زاوية مغايرة؛ فهو يرى أن الفردانية في الحب تمثل تعبيرًا عن الحرية، حيث يتمكن الأفراد من اختيار شركاء حياتهم بناءً على الحب الحقيقي، بعيدًا عن الضغوط الاجتماعية أو الاقتصادية. ويعتقد فيري أن الفردانية يمكن أن تكون قوة إيجابية إذا اقترنت بالمسؤولية والاعتراف بالآخر.

خلاصة القول، بينما تركز إيفا إيلوز على الجانب النقدي للحب في المجتمع الحديث، مشيرة إلى التحديات المرتبطة بالفردية والتمثيل المستمر للعاطفة، يقدم لوك فيري رؤية أكثر إيجابية للحُب كقيمة مركزية حديثة تعزز الحرية والمسؤولية المتبادلة.

المصادر والمراجع:

Capelier, Claude, et Luc Ferry. *La Plus belle histoire de la philosophie*. Paris: POINTS, 2015

Ferry, Luc. *La révolution de l'amour: Pour une spiritualité laïque*. Paris: Plon, 2010

Illouz, Eva. *Les Sentiments du capitalisme*. Paris: Le Seuil, 2006

———. *Pourquoi l'amour fait mal: L'expérience amoureuse dans la modernité*. Traduit de l'allemand. Paris: Le Seuil, 2012

———. *La Fin de l'amour: Enquête sur un désarroi contemporain*, Paris: Le Seuil, 2020

إيلوز، إيفا. **نهاية الحب سوسيولجيا العلاقات السلبية**، ترجمة جلال العاطي ربي، السعودية: صفحة سبعة للنشر والتوزيع، 2022

فيري، لوك. **الإنسان المُؤله، أو معنى الحياة**، ترجمة محمد هشام، الدار البيضاء: إفريقيا شرق، 2002

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com